العدد(1480) السنة السادسة - الاثنين (13) نيسان 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

المـــرأة الـبـصريـة بـيـن قـســوة الـعـنـف وتـطـلـعـات المستقبل

البصرة/ بعثة المدى
شاكر المياح- كريم الحمداني

نظمت بعثة (المدى) الى محافظة البصرة ندوة حوارية بالتعاون مع البيت الثقافي وفرع المجلس العراقي للسلم والتضامن جرى فيها مناقشة واقع المرأة البصرية في الظرف الراهن شارك فيها عدد من الناشطات النسويات والمثقفين والأدباء والإعلاميين.

تقول الناشطة في مجال منظمات المجتمع المدني وعضو "بيت الصحافة" سندس لطيف حافظ عضو التجمع الديمقراطي المندائي، المرأة البصرية عانت كثيراً من التهميش والظلم والقهر والاستبداد غير انها بعد انهيار النظام الديكتاتوري نشطت باتجاه نيل حقوقها ومساواتها مع أخيها الرجل، الا انها اصطدمت بحواجز كثيرة وبقوى عديدة حاولت إبقاءها في العتمة بممارسة العنف ضدها وصل حد القتل والتهجير القسري.

وبعد "صولة الفرسان" وجدت المرأة البصرية نفسها في فسحة بسيطة من الحرية والانفراج.

الآن تستطيع الخروج الى الشارع وبإمكانها التعبير عن مكنوناتها والإفصاح عن رغباتها في العيش الكريم وحقها في الحياة الحرة والمطالبة بحقوقها، وتسعى الآن لتنمية قدراتها الذاتية.

قبل سنة كانت المرأة البصرية لا تستطيع الخروج من بيتها لغرض التسوق أو اصطحاب أولادها الى المدارس، ووصل الأمر الى منع الطالبات من الذهاب الى المدرسة واجبروا الكثيرات منهن على ارتداء الحجاب ولبس الجلابيب خاصة النساء من الطائفتين المسيحية والمندائية.

واضافت: لكن المرأة الآن تتمتع بهامش من الحرية وتستطيع قيادة السيارة من دون الشعور بالخوف أو التردد، وأنا شخصياً أشاهد العديد من النساء يقدن سياراتهن بحرية تامة.

الوعي الثقافي

وعن أشكال العنف الموجه ضد المرأة البصرية؟

قالت :القتل أولاً وعدم التبرج وارتداء الحجاب والعباءة قسراً والكتابة على الجدران (القتل للمتبرجة وللسافرة)، اما العنف الأسري فهو يتمثل ان الرجل هو سيد البيت وهذا أمر طبيعي ضمن مفاهيم المجتمع العراقي.

واضافت : ان المرأة البصرية ما تزال بحاجة الى الكثير من الوعي والثقافة لإخراجها من هذا الركام من التخلف بغية أن تكون مؤهلة لقيادة أسرة واعية، وهذا ما نسعى اليه في الوقت الراهن.

جرائم غسل العار

× وكم عدد النساء اللواتي تعرضن للقتل؟

– العدد بحدود الـ(٦٠) امرأة.

× متى؟

– بين عامي ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

× ما هي دوافع القتل؟

– الكثير من حوادث القتل كانت تحت ستار (غسلاً للعار) أو القتل على الانتماء الطائفي.

المنافسة مع الرجل

× كيف تنظرين الى مستقبل المرأة البصرية؟

– حتماً سيكون المستقبل لصالحها لاسيما وانها بدأت تأخذ مواقع ممتازة وعلى مختلف الصعد والدليل هو ما حصل في انتخابات مجالس المحافظات، اذ كانت المنافسة قوية بين المرأة والرجل مع أن النساء لم يحققن النجاح المطلوب والمساوي (للكوتة) ولأسباب معروفة للبصريين.

واضافت مسؤولة "بيت الصحافة" ومديرة إعلام كلية الفنون الجميلة نوال ياسين الروضان قائلة

– واقع المرأة البصرية اليوم هو أفضل من السابق، فقبل أكثر من عام كان محرماً على الطالبة الذهاب الى كليتها او مدرستها، وكن يتسللن متخفيات عن عيون الميليشيات ليأتين الى الكلية يوماً واحداً في الأسبوع، أما الآن فقد أختلف الوضع تماماً فالطالبة مواظبة على الدوام من دون ان تخشى أحدا، وهي حرة في اختيار الزي الذي ترتديه.

واوضحت : في الآوان الأخير ازداد العنف على المرأة ووقعت عدة حوادث قتل، لذا فأن مشاعر الخوف عادت لتسكن نفوس النساء البصريات لاسيما بعد ما شاهدن نساء مقتولات في الحيانية وواحدة قرب كلية الفنون الجميلة وامرأة مقتولة وملفوفة ببطانية في منطقة الطويسة.

الارامل والبرلمان

× هل هناك مشروع لرعاية الأرامل؟

–الان كنا نتداول ونتحاور بشأن إعداد مشروع لرعاية الأرامل وينبغي إيصال أصواتنا الى أخواتنا عضوات مجلس النواب من أجل تخصيص رواتب للنساء المطلقات اللواتي لا معيل لهن وللأرامل وللطاعنات في السن، وتضيف: نحن الآن بصدد جمع تواقيع لتنفيذ هذا المشروع.

نحن نعمل على تأسيس بيت خاص للأرامل والمطلقات يسهم في تخفيف معاناتهن وإنقاذهن من التشرد مثلما حصل في محافظة أربيل، ونستطيع من خلاله أن نوجد لهن مشغلاً أو نقدم لهن حوافز تساعدهن على العيش الكريم.

وتوضح: المرأة البصرية تواجه ضغوطاً كثيرة خاصة أثناء العمل وانا نفسي أشغل منصب مديرة إعلام كلية الفنون الجميلة، العديد من الذين يعملون معي لا يتقبلون أن أكون مسؤولة عنهم فالذي يتغيب منهم عن الدوام يرفض مساءلتي إياه عن أسباب تغيبه ويغضب جداً حينما أحاسبه، كذلك هو الحال مع عميد الكلية لم يكن ايجابياً مع القسم وهذا يتضح من خلال عدم تلبيته لأي طلب يتقدمه احتياجات قسم الإعلام كالحاسوب أو نصب خط للانترنت أو القرطاسية.. الخ من الطلبات الضرورية، وتضيف: هذه الطلبات سلمتها لزميل نقل الى القسم حديثاً وبدوره قدمها للعميد الذي أبدى تجاوباً معه، وبالنتيجة لبى جميع الطلبات التي عرضها عليه زميلي الرجل.

الزواج المبكر

باعتبارك إعلامية وناشطة نسوية ما نسبة حالات الزواج بزوجة ثانية في محافظة البصرة؟

– الحالات الكثيرة هي حالات الزواج بأكثر من واحدة، لكن الأهم من هذا هو الزواج المبكر، أي تزويج لبنات الصغيرات بأولاد صغار، والذي يحمل بين طياته مخاطر اجتماعية وصحية كثيرة، وتشير الى أن قانون الأحوال الشخصية منع الزواج الثاني الا بعد حصول موافقة الزوجة الأولى.

واوضحت: يوجد في سجن النساء (٣٠) سجينة، (١٢) منهن قتلن أزواجهن بسبب الزواج الثاني، وتضيف: أنا ضد أي نوع من أنواع هذا الزواج سواءً كان زواج المتعة او المسيار.

× كيف تقييمين واقع الأمومة في البصرة؟

– الأم العاملة هي الأكثر معاناة ذلك لعدم وجود دور حضانة أو رياض أطفال، لذا فان أكثر الموظفات يستعن بالجيران لرعاية أطفالهن أثناء الدوام.

ثم انتقلنا بالحوار الى الدكتورة جوليانا يوسف من كلية الآداب/ قسم الترجمة ورئيسة جمعية البصرة للبحوث وإعلام المرأة ورئيسة تحرير جريدة (الجنوبية)

– ربما تحسن الوضع الأمني قد ساعد المرأة البصرية على التحرر من عقدة الخوف الا أن دورها لم يزل دون قائمة حتى الآن غير ان التحدي ما يزال مستمراً، فبعض الطالبات الجامعيات نزعن الحجاب وارتدين أزياءً عصرية، ومثالاً آخر على ذلك ان في البصرة شركة اسمها (البارق) تبيع السيارات بالأقساط وكانت الوجبة الأخيرة التي استوردتها الشركة كان المتقدمين اليها اغلبهم من النساء، وتضيف: هناك مؤشرات واقعية تدل على تحسن الواقع النسوي في محافظة البصرة، اما كونها تتبوأ مركزاً متميزاً فمن الصعب في الوقت الحاضر ان يتحقق ذلك.

واقع المرأة

× هل الدعوة الى الحجاب والحشمة المفرطة هي خالصة أم يراد منها تسييس واقع المرأة؟

– ليست هي دعوة صادقة ولا هم يحزنون، الهدف منها هو تسييس الواقع النسوي في العراق عامة والبصرة خاصة، ونتساءل ما هو مفهوم الحشمة؟ بتقديري هو مفهوم نسبي مثل المفاهيم الأخرى وهو متغير بحسب الزمان والمكان، ونتساءل مرة أخرى هل الحشمة بالعراق وفي بداية القرن المنصرم هي ذاتها بالوقت الراهن؟، وتضيف: وبسبب الجهل فان البعض ما يزال لا يدرك جوهر هذا المفهوم ويعيشون على وفق رؤية مثالية للحشمة بعيداً عن الواقع الإنساني المتغير طبقاً لمعايير المعاصرة والتطور الحضاري.

× زواج الفتاة الصغيرة من رجل كهل هل هو شائع في محافظة البصرة؟

– ليس بالضرورة أن يكون زوجاً متقدماً بالعمر، بل يكون شاباً وهي ما تزال في مرحلة الطفولة، وأغلب الظن أن الذي ذهبت اليه قد يحدث في الأرياف، اما في مركز المحافظة لا اعتقد هذا وقد يكون على المستوى الفردي وليس الجمعي، الا أن الأشهر القليلة الماضية شهدت كثرة حالات الزواج المبكر للبنات الصغيرات وبسن (١٠) سنوات وهذا مخالف تماماً للمواصفات التشريحية لأن رحم الطفلة لا يتحمل التغييرات الجسدية التي تحدث بعد الزواج، وتضيف: بحسب معلوماتي يسمح بزواج الفتاة بسن السادسة عشرة اذا كان ولي أمرها هو (الوكيل) اما زواج الفتاة بسن صغيرة قد ترتب وتشرعن بطريقة ما.

ضغوطات منوعة

× ما هي أهم الضغوطات التي تعرضت لها المرأة البصرية بعد ٢٠٠٣/٤/٩ وحتى الآن؟

– بالدرجة الأولى كان الخطر ماثلاً أمام المرأة البصرية يتمثل في وجود الميليشيات المسلحة التي لم تدع فرصة سوى القتل، اما الضغوط الاجتماعية فلا يمكن تحديدها فهي لا تعدو كونها تراكمات بسبب الحرب مع إيران وحرب الخليج الأولى والثانية لان البصرة وفي مراحل الحروب كانت تعيش أوضاعاً صعبة ومأساوية ولهذا فقد ترسخت هذه التراكمات فتجندت الضغوط لتتحول الى أعراف.

التنفيذ مقبرة الأحكام

بعد ذلك التقينا المحامية والإعلامية حميدة عبد الوهاب الأيوب ورئيسة منتدى المراة في المجلس العراقي للسلم والتضامن فرع البصرة حيث سألناها:

× هل تحظى المرأة البصرية بمساحة من الحرية؟

– هي حرية نسبية وليست المرجوة ولا هي الطموح الذي ننشده لتغيير واقع المرأة، هذه الحرية النسبية تحققت بتواضع بعد سنوات من الضغط والحصارات المرعبة والعنف المهول الذي كان عام ٢٠٠٨ وما قبله يمثل ذروته القصوى ونأمل ان تتسع هذه الفسحة مستقبلاً.

× ما مدى نجاح النائبة البصرية في مجلس النواب في تقديم شيء لمحافظة البصرة؟

– لا اعتقد انهن قدمن شيئاً مفيداً لبنات وأبناء البصرة، ففي الانتخابات الأولى لم تكن النائبة سوى رقم لملء الفراغ الذي أوجبته (الكوتة) وعن طريق أحزاب دينية أرادت للمرأة ان تكون ديكورا في قوائمها، ليس هناك تماس حقيقي بين النائبة والمرأة البصرية لاسيما وأنا أتعايش يومياً مع مشكلات المرأة البصرية قضائياً بحكم عملي بصفتي محامية، التي تمثل المحك الحقيقي لواقع النساء البصريات للكشف عن مدى البؤس الذي تعيشه المرأة البصرية والظروف التعيسة التي تحياها الأرملة والمطلقة وتلك التي لا معيل لها، فالمطلقة التي تأتي للمحكمة لتسلم نفقتها وحينما يؤجل موعد التسليم تستجدي أجرة عودتها الى بيتها الذي قد يكون (صريفة).

× ماذا عن عضوات مجلس المحافظة؟

– لا يختلفن بشيء عن عضوات مجلس النواب، فنحن بصفتنا ناشطات نسويات التقينا بعدد منهن وطرحنا عليهن جملة من المشكلات الواجب معالجتها وقلنا لهن أنكن لا دور لكن في المجلس، ومعدوم دور المرأة في هذا المجلس، فتذرعن بضعف التخصيصات المالية كذلك المبالغ المرصدة من قبل وزارة المرأة، وهذه أعذار واهية لتبرير العجز وتدني مستوى الأداء الوظيفي والاجتماعي لهن.

المرأة والقضاء

× من الناحية القانونية هل تجدين ان القضاء العراقي قد أنصف المرأة؟

– حتى وان كانت هناك قوانين تنصف المرأة، غير ان التنفيذ لا يطبق هذه التشريعات بمعنى أن الجهة التنفيذية تظل متلكئة فكثير من الأحكام القضائية جرى إصدارها الا ان التنفيذ نعده (مقبرة الأحكام) وان الكثير من القوانين ليست سوى حبر على ورق وحتى الدستور ذاته، ونتساءل أين هو التنفيذ؟ الخطأ ليس بالنظرية بل بالتطبيق سواءً بالقوانين الوضعية أو السماوية.

مـلابـس الـطـالـبـات بـيـن الـحـريـة الـشـخـصـيـة ومـراقـبـة الأصـولـيـين

تحقيق/ وائل نعمة

من يدخل الجامعات في بغداد سيرى الطالبات يرتدين ملابس ملونة وعلى آخر صيحات الموضة. ومنهن من يرتدين البنطلون والتنورات القصيرة والملابس الضيقة، ولم تكن هذه المظاهر موجودة قبل سنة او اكثر، خصوصا وقد كانت بغداد تمر بأوقات عصيبة، وأعمال عنف وتيارات دينية متطرفة، اثرت على جميع مظاهر الحياة، ومن ضمنها تقييد الحريات وفرض قيود على سلوكيات الناس، وبالأخص الفتيات. التحسن الامني الذي شهده البلد عموما، انعكس على مظاهر الطالبات في الجامعات، وشكل فسحة من الحرية، ومؤشرا على بداية مرحلة جديدة. مرحلة تبعد فيها الجامعة عن التيارات السياسية والدينية، وترسخ نفسها مؤسسة تعليمية.

لمى عبد الحميد، طالبة في المرحلة الثانية كلية العلوم قسم علوم الحياة جامعة بغداد تشرح وجهة نظرها عن هذه القضية بالقول: مسألة الملابس حرية شخصية، وهي لاتؤذي احداً ولاتخدش حياء. أهلي يرونني حين اخرج وحين ادخل، وليس هناك اعتراض على ملابسي فليس من من حق أي احد الاعتراض على ما أرتدي غير اهلي وليس جهة اخرى. شيماء عادل الطالبة في كلية الهندسة المدنية، المرحلة الثالثة، تؤكد أن الحل في أختلاف وجهات النظر حول هذا الموضوع يكون بفرض الزي الموحد، وتطبيقه بطريقة جدية، وعلى الكل دون تمييز. أما سارة سمير الطالبة في كلية التربية جامعة بغداد قسم التاريخ فلها رأي مختلف. فهي تلتزم بالتعاليم الدينية التي تملي عليها ان تمتنع عن ارتداء ملابس ضيقة، وغير محتشمة، او تظهر شيئا من جسمها او حتى ان تضع الميكياج.

وترى أن ارتداء البنات لمثل هكذا ملابس لايتناسب مع تقاليدنا وديننا، وانهن يثرين الفتنة. ويجب ان لانسى أن هناك طلابا معنا فنحن لانعيش في مجتمع بنات فقط. صديقتها وزميلتها بيان حسن تتفق بآرائها مع زميلتها من حيث نوع الملابس التي يجب ارتداؤها عموما، وفي الجامعة خصوصا، باعتبارها مجتمعا مختلطا، وترى أنه يجب ان تكون هناك جهة تقدم النصح والمشورة للطالبات، وتتمنى ان تكون هذه الجهة من البنات حصرا حتى لاتكون هناك مشاكل بين الطالبات والطلاب. هكذا نمط من الآراء والتباين بينها عادة ما يخلق حساسيات بين الطلاب في معظم الجامعات. وهي حالة طبيعية ان لم تسيس أو تتحول الى أداة لقمع الحريات الشخصية. وهذا ما تؤكده منال وليد الطالبة في الجامعة المستنصرية في كلية الاداب، حيث تقول ان الجامعة المستنصرية شهدت اكثر الاحتكاكات والمشادات بين الطلاب وبعض الاشخاص الذين هم ايضا طلاب ولكن ينتمون الى جهات سياسية ودينية. وقد لعبوا دورا سلبيا في جعل الجامعة معتركا سياسيا، ومكانا للصراع الديني. وتدخلوا في خصوصيات الطلاب، ووزعوا تدخلاتهم بين الطلاب والطالبات. بدأ الامر بحث الطالبات على ارتداء الحجاب وتغيير اسلوب الملابس، ثم تغير الامر واصبحوا يضغطون على رئاسة الجامعة ومنعوا دخول الطالبات من الباب الرئيس. وحدثت الكثير من المشادات بينهم وبين الطالبات، ولم يكن هناك صوت يصدر من العمادات او رئاسة الجامعة. ولكن الوضع الآن قد تغير وبدأ تأثير هذه الفئات بالزوال وانتهت تلك الحالة.

الاتحادات(الطلابية)

وتقول زينب حميد، وهي طالبة ايضا في الجامعة المستنصرية ان الجامعة عانت في الاوقات السابقة، من بعض الاشخاص الذين كانوا يشكلون مايسمى بالاتحادات (الاسلامية). وكان بعض هؤلاء الاشخاص منبوذين في السابق وغير مرحب بهم في وسط الطلاب بسبب حقدهم لاسباب تتعلق باختلافات طبقية وغيرها. ولذلك عزلوا انفسهم وابتعدوا عن الطلاب وتكتلوا مع بعضهم. وبعد دخول بغداد في حالة من الفوضى، انعكس الامر على الجامعة ايضا، فتحرك هؤلاء حتى ينتقموا من الطلاب، وتظافرت معهم احزاب وجهات كان لها اهداف، فالتقت التوجهات وسلطوا جام غضبهم على طلاب الجامعة، وارادوا ان يسيطروا على طلابها واساتذتها وعمدائها حتى رئيس الجامعة. حاول البعض ان يضايق الطالبات بشتى الطرق، تارة باحاديث عن يوم القيامة وسوء العاقبة، وتارة باعطائهن كتبا تتحدث عن اهمية الحجاب. تضيف زينب، اما الان فقد تغيرت هذه الاوضاع وقلت هذه التدخلات، خصوصا بعد القرارات التي صدرت من الحكومة ومن وزير التعليم العالي والبحث العلمي بابعاد الجامعة عن المظاهر السياسية وعدم رفع شعارات حزبية او دينية، ورفع الملصقات والصور منها.

الملابس حرية شخصية

ايناس محمود الطالبة في المستنصرية توسع الاسباب لتشمل المجتمع ذاته. فهي تقول ان الوضع العام كان في بغداد غير مناسب بارتداء الفتاة ملابس معينة، خصوصا وان بعض المناطق كانت تحت سيطرة العصابات وجماعة القاعدة والمليشيات المسلحة التي علقت على جدران البيوت تحذيرات للنساء بارتداء الحجاب. بعضهم طلبوا حتى ارتداء النقاب. وتضيف أن الامر وصل حتى الى المسيحيات حيث طلب منهن ارتداء الحجاب. كما منعت النساء من قيادة السيارة باعتبار ذلك مخالفا للتعاليم الاسلامية. كل هذه العوامل كانت قد اجبرت النساء على ارتداء الحجاب والملابس العريضة، خوفا من الارهابين، مما انعكس على الحياة في الجامعة.

انعام عبد الرحمن الطالبة في جامعة بغداد، كلية التربية قسم اللغة العربية تقول ان مشكلتنا الان في الجامعة هي المضايقات من الامن، او مايسمى بحرس الجامعة. فهم دائما يحاولون التحرش بالطالبات بطرق عديدة وأبسطها الكلام غير المؤدب، والكلام الذي لايليق بمكان تعليمي وبحرم جامعي. هناك تحرشات ومضايقات من بعض الطلاب في الداخل، وتعليقات على ملابس الطالبات قد تجرح شعور الطالبة وتخدش حياءها، مما قد جعل الكثيرات يبتعدن عن هذه المشاكل بارتداء الحجاب. وتضيف انعام اني لا انكر أن الاوضاع تغيرت عما كانت عليه في السابق. ولكن هناك نظرة شاملة من المجتمع ضد المرأة، وضجة كبيرة على ملابسها وشخوصها. الجامعة هي متنفسنا الوحيد فنحن لانستطيع ان نرتدي ملابس معينة في الشارع، باعتبار ان الشارع فيه انواع من الناس. اما فيما يخص الكليات الاهلية فتقول ريتا جرجيس، وهي طالبة في كلية القانون كلية التراث الجامعة: ان الكليات الاهلية لم تعان مثلما عانت الجامعات الحكومية، بعتبارنا لم ندخل ضمن هذه الصراعات السياسية والتطرف الديني. لان الكليات الاهلية لايوجد فيها اتحادات طلابية من هكذا نمط، وكما ان مجتمع الكليات الاهلية قد يكون متقاربا واقل تنوعا من الجامعات الاهلية. ،وتضيف لقد كانت هناك اشارات خفيفة من بعض الطلاب وتعليقات على الملابس في السابق، ومنهم من نصحني بارتداء الحجاب ولكن لما عرف أني مسيحية لم يُعد علي المحاولة.

أما اراء الطلاب الشباب في هذا الموضوع فقد تنوعت بين من هو مع الحرية الكاملة لارتداء الطالبة اي نوع من انواع الملابس مادامت هي مقتنعة بما تلبس، كما يقول مازن محمد الطالب في كلية علوم الفيزياء، جامعة بغداد، او كما يقول رحيم علي الطالب في كلية الهندسة قسم المساحة انه يجب ان يكون هناك زي موحد، ويجب ان تلتزم به البنات تحديدا. لان ما يحدث في الجامعة غير مقبول لان ملابس البنات فاضحة على حد تعبيره. ونائل سعيد الطالب في الجامعة المستنصرية في كلية الاداب يقول بأنه لا يجب ان نعطي هذا الموضوع اكثر من حجمه، فهو ليس جرما، خصوصا ان هذه المظاهر قد تكون حصرا في بغداد. لاني شاهدت جامعات المحافظات، حيث البنات محتشمات، وبعضهن يرتدين النقاب والعباءة.

لكن مهما تنوعت الآراء واختلفت، فأن هناك حقيقة واضحة ممكن ان تدركها في اول زيارة للجامعات في بغداد. الحقيقة التي تقول ان مظاهر البنات، وطريقة واسلوب الملابس، قد تغيرت عما كانت عليه في السنتين الماضيتين. وهذا دليل على استطاعة المرأة العراقية على العموم، والطالبة على الخصوص، ان تتعدى مرحلة الخوف، وان تواصل مسيرة حياتها ودراستها بالرغم من محاولات اعاقتها وتعطيلها.